هايته لاجل المسألة . و يتوقع كثير من العارفين بأخلاق عدلي باشا و وطنيته ان يقتنع المعارضة بل يرجحون ذلك على نجاحه فيها

الاحتمال الثالث — ان يصح رأي سعد و يعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي يقيد مصر و ينظمها في تلك الامبراطورية البريطانية باسم من الاسماء المعروفة والمخترعة. وعاقبة هذا ان تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي او رشدي عنهما و يكبر حزب سعد بل تكون الامة كلها معه الا من لا يذكر من طلاب الوظائف والمنافع من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام قوة الامة وقوة الحكومة المؤيدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق بالقوة ولا يظن أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهما يفعلان ذلك ولكن قد يفعلانه في حال الاحتمال الرابع المذبذب بين هذا و بين الاول وهو :

(الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف انكلترة باستقلال سياسي دولي تام لمصر في داخليتها وخارجيتها وحقوق في السودان لا تتبع مصر في الادارة وارتباط بالامبراطورية بمعاهدة لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب. وأعظم الخطر تعهد مصر بأن تجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما سبق المقطم بجميع الجرائد الى بيانه. ففي مثل هذه الحالة تجد الوزارة من الانصار ما تقاوم به السواد الاعظم الذي يقوده سعد باشا ونسأل الله حسن العاقبة وانقاذ هذه البلاد من كل محنة انه سميع مجيب ؟

السياسة ورجال الدين في مصر

يعلم رجال الاستعمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستعمرة بالفعل او بالقوة من سلطان الدين على الارواح ، وأثيره في الارادة الباعثة على الاعمال . فهم يعنون أدق العناية في كل شعب يظله سلطانهم بازهاق روح دين الشعب الذي على غير دينهم او تحويله عن مذهبه اذا كان مخالفا لمذهبهم ويعنون فيه دعاة مذاهبهم الدينية ويؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، ومن مناهضتهم لدين الشعب واضعاف رجاله عن اعمال الحكومة ومناصبها وتعريض جل أصحاب الوظائف الشرعية

التبرع ومبتعدا عن الدين، واما رجل زكي مثل للاصلاح بشغله بوظيفته وراتبها ورجاء الترقي فيها عن عمل حر لا تسهل مراقبته فيه وصده عنه — ولا يقبلون مثل هذا اذا كان لهم مندوحة عنه — واما رجل مشهور بصلاح او علم ولكنه فقير جبان حريص على رزقه، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة

كذلك يحولون بين المستمسكين بعروة الدين والغيرة عليه وبين الترقي في مناصب الحكومة اذا انتظموا في سلكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يكلون أمر مناهضة التعليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما عمال وزارة المعارف الى أهل الدين المتعصبين له منهم. ولا يثقون الا بمن يظهر لهم عدم المبالاة بدينه وبواتيهم فيما يعلم من مقاصدهم ونياتهم في ذلك

ومن الشواهد على ذلك ان مستر دنلوب الذي جعلوه مسيطرا على وزارة المعارف في معظم عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستاني، وهل يطمع عالم من الازهر بأن يكون وزيرا بجانبه او رئيس ادارة او قلم تحت سيطرته الا لا

ومن الشواهد الجلية أيضا منع مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخها التي أرسلت مسجلة واحراقها بالنار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمنها المراقبة على الضعيف في كل مكان، وقد علمنا من الثقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة لرغبة بعض المبشرين، وقد شكونا الامر الى السر ونجت باشا اذ كان الحاكم العام للسودان فما أشكانا وهو هو المعدود من أوسع الانكليز صدرا وأليقهم هوية واكثرهم مداراة واستمالة للناس

واكبر الشواهد عندنا على ذلك ماتقلت من قلم لورد كرومر في كتابه (مصر الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته ضمانا تاما كان من أكبر أسباب شهرة الانكليز الحسنة في الشرق كله، نقلت من قلمه في هذا الكتاب ماكشف عما كان مملوءا عليه من التعصب الديني الذي كان يخفيه بالرياء الغربي الذي يوصف به البريطانيون ويظهر للناس ان من أصول سياستهم عدم كل مسلم تربى تربية اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم في بلاده وحصر هذه المناصب في المتفرنجين بالتربية الاوروبية الذين زعم اللورد

نفسه في كتابه (مصر الحديثة) بأقبح النعوت ونبزهم بشر الالقاب. وهاك نصه في ذلك

قال اللورد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمناسبة الكلام على استقالة وزارة رياض باشا الاخيرة ما ترجمته: «ان فشل تجربة رياض باشا تقتضي درسا هو ان لا فائدة من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا. على ان التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكانت الحالة السياسية تغيرت تغيرا حسنا الا انها لسوء الحظ فشلت فشلا تاما

«ولو اجربت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلا ثانيا فان من الواضح ان المسلم غير المتخلق بأخلاق الاوروبيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام فذلك سيكون المستقبل الوزاري لمصر بين المتربين تربية أوربية». فهذا قوله في رياض باشا الذي لم يتول الوزارة في هذا العصر رجل مثله في عدله وحسن ادارته واخلاصه وقد اثنى عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاوبرة الخديوية) وفي أحوال أخرى بما لم يثن على غيره؛ ولكن ذنبه عنده انه كان يراعي الشعور الاسلامي ويحافظ على كرامة الاسلام

وقد اعتذرت مجلة المقتطف عن تصريح اللورد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام — ولم تذكره — بأنه كتب كتابه هذا لقومه ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر في مصر وغيرها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصاروا يعرفها كل أحد، وكان من تأثير ذلك مالا محل لشرحه هنا. وانما غرضنا ان نثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بعقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون على شعائره وعباداته المعتزون بمجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة بلادهم ولا سيما اذا تربوا في المعاهد الدينية كالازهر والتزموا زي علماء المسلمين

وغرضي من بيان هذه الحقيقة أن اذكر العاقل بها بأنها أقوى أسباب بعد علماء الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وسياسة البلاد، وكان الانكليز يظنون انهم أمنوا بهذا من القيام بثورة قومية للمطالبة بحقهم من الحكم في

بلادهم بدلا من الاجانب الذين افتاتوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلادهم ومصالحها ، وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسعد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حداثته عدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نبزه بلقب التعصب الديني على حسب عادتهم « رمتني بدائها وانسلت » لانه قد اشتهر بالتساهل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي أدخل تعليم الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بعمل لا نظير له في حكومة من حكومات أوربة نفسها دع غيرها ، والقبط يعرفون ظاهره وباطنه ويعتقدون انه انما تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حظهم منها سيفيلهم مالم ينالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الانكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد يسعى الذين يتربون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير اهوائهم وشهواتهم الشخصية فبدا لهم مالم يكونوا يحتسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشؤا في المدارس الاوروبية التربية سواء كانت بمصر او أوروبة وانتقلت من هؤلاء الى الازهريين وغيرهم من شبان المعاهد الدينية ، فكان لهؤلاء الشبان وقليل من الشيوخ تأثير يذكر في نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضغط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهريين وسائر طلاب المعاهد الدينية نظام خاص حظر على أهلها ان يشتغلوا بالسياسة وفرض على المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وسمحت السياسة بما سمحت به من المظاهرات لوزارة العدلية ثم لسعد باشا زغلول على أمل اتفاقه معها في العمل كان لعلماء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

قد ظهر في ميدان الوطنية السياسية الشيخ محمد بخيت الذي كان من أقوى أنصار الاحتلال في عهد إعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب افتاء الديار المصرية فخدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأي شيخ الازهر في ذلك العهد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم تجد بريطانية في أميراطوريتها المهندية من رجال الدين كهذين الشيخين تستعين بهما على حذف اسم الخليفة من الخطبة — وهما اللذان أكرههما علماء الازهر على اعانة الصليب الاحمر

وانفرد المفتي الشيخ بخيت باصدار تلك الفتوى الطويلة العريضة في تقبيح البلشفية والتنفير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة، وقد سبقت جريدة التيمس الانكليزية الى اخبار العالم بالفتوى البخيتية وعرضوعها قبل صدورها بمدة طويلة. ولذلك قامت عليه قيامة الجرائد الوطنية ورد عليها الازهريون وغيرهم.

ولما اشترك الازهريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ بخيت حربا لهم حتى قبل انهم هددوه واستطاره في مظاهراتهم وطمنوا فيه بخطبهم واسمعوه ما يكره في نفس الازهر في اثناء تشييع جنازة الاستاذ الشيخ ابراهيم القاياتي رحمه الله تعالى

وأما في هذه الكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية على الاحتفال بسعد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليهما كثير من الشيوخ المدرسين في الازهر فكانوا من أرفع أنصار سعد باشا صوتا

ولما اشتد الخلاف بين سعد ووفده والوزارة العدلية مال الشيخ بخيت بأعوانه من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سعد أو الصلة به وسعد يرى تأييد الوزارة منتهى القطيعة له وللوفد بل للامة فمن أيدها لا يبقى له حبل ولا خيط يصله به، فمن ثم هد الشيخ هدما وهدم ما بناه في هذه المدة القصيرة من المنزلة الوطنية وكثر طعن المعديين فيه من حيث صار العدليون يكبرون مقامه ويلقبونه مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليدهم في السياسة كما يقلدون في الدين.

ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جنى على نفسه جناية أدبية تؤثر في صيت مثله ومقامه ما لا تؤثر الجنايات القانونية. ذلك بأن الشيخ بخيتا افترس نأم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نبز بعض الافرنج لها بلقب التعصب الديني من جراء ما سمي حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بغض المصريين للاجانب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم —

أعرض ذلك بنشر مقالة بليغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أحزاب الامة وطبقاتها لما فيها من الحقائق المتجلية في أبهى معرض من البلاغة والفصاحة بجمعها بين الجزالة وعلو الاسلوب والسهولة التي تتناول بها افهام العامة. فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والعمران سواء كان مناطه الجنس والنسب، أو اللغة أو الوطن أو الدين، وأنه كثيرا من الغرائز والملكات الانسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالتزامه والوقوف عند حده، وطرفا أفراط وتفريط يعرض الضرر للامة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منهما، فالاعتدال في التعصب أن يكون تعاون الجماعة أو الامة الذين تجمعهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفعون به شأنهم في العلوم والاعمال التي يرتقي بها البشر وتتنافس فيها الامم — من غير تقصير فيما ينبغي لذلك يحول دون الغاية وهو التفريط ولا إسراف يحمل على ظلم الخارج عن هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه مخالف وهو الافراط

وكل من تجلت له هذه الحقيقة من مرآة الشعب المصري يجزم بأنه لا يزال أقرب الى التفريط فيما ينبغي له من حفظ جامعته القومية والوطنية واعلاء شأنها بمساماة الشعوب العزيزة منه الى الافراط الحامل على العدوان على المخالفين وهضم حقوقهم كما يفعله جميع المستعمرين من الافرنج — فنشر المقالة في هذا الوقت كان عملا نافعا من وضع الشيء في محله فيه الوقت المناسب له

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد بخيت الناشر لها في الاهرام ولا هو بالذي يقدر على كتابة مثلها في أسلوبها ولا تحرير الحقيقة التي شرحت فيها، بل هي من مقالات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (العروة الوثقى) التي أنشأها هو واستاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (قدس الله روحهما) في باريس عقب احتلال الانكليز لمصر لمقاومة الاستلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد، وكان السيد هو المدير السياسي والاستاذ هو المحرر الاول لها. وقد نشرنا هذه المقالة في المنار من زهاء عشرين سنة معزوة الى الاستاذ الامام ثم نشرتها جريدة المؤيد قبلا عن المنار. ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تاريخ الاستاذ الامام الحاوي لاشهر منشآته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت أعداد العروة الوثقى برمتها في بيروت ونسخها تباع في مصر، وبلغنا ان بعض الشبان يحفظونها عن ظهر قلب ، ولا غرو فالمقالات الاجتماعية في العروة الوثقى من المحفوظات التي يستعان بها على طبع ملكات الانشاء العالي في النفس ، كما انها من أفضل ما يوقظ الافكار ، ويبعث فيها روح العظة والاعتبار ، وينبهها لما يدور حول هذه الامة من الغوائل والاخطار ، مع بيان علاها وأسبابها ، وطرق معالجتها والتفصي منها ، وقد كان تحمل الشيخ بحبث لهذه المقالة منها على ماذكرنا من شهرتها أغرب ما ينتقد عليه ، ويسدد سهام اللوم والتثريب اليه

نشرت المقالة في الاهرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسنة والاقلام ، وانبرت الجرائد اليومية لمؤاخذة الشيخ على هذه السرقة المفضوحة ، وطفقت الجرائد الهزلية تخترع النكت للضحكة البكية في فضيحته والرزاية عليه ، وقد كان مما قرن به هذا الانتحال من الخذلان ان الشيخ بحبتا حرف في المقالة بعض الجمل وغير وقدم وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي المحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكميا في جعل موافقة مانشره اليوم لما نشر بقلم الاستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد الخواطر وقد اودعه المقالة بحروفها ، مع التنبيه الى ماحرف الشيخ بحبت منها ، بجعل الحرف مقابلا للاصل في جدولين متوازيين ، ونشر محرر افندي عبده أخو الاستاذ الامام لابيه المقالة في جريدة الامة مقرونة بما يقتضيه المقام من الاستغراب والنقد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقات أن بعض الناس في دمنهور طفق يقرأ المقالة عند وصولها اليه في اليوم الذي نشرتها فيه جريدة الاهرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وألق السمع الي لاتم لك قراءة ماشرعت فيه فاني أحفظه وأتم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين مافي الاهرام الا تلك الجمل القليلة التي شوه حسنها التحريف

ولو ان الشيخ بحبتا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أشرنا اليه آنفا من كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتعصب الديني الضار بحمله على ايذاء المخالف في الدين لانه مخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

يثقل على طبعه الشوبه بفضل الاستاذ الامام باسمه — لكان خيرا له وللمصلحة العامة — أما الاول فظاهر وأما الثاني فهو ان لم الناس بصاحب المقالة ذي المكانة العالية المعروفة التي يتضاعف ارتفاعها في الانفس عاما بعد عام يزيدهم رغبة في قراءتها وتأملها والانتفاع بها ، ولاشك في ان قراءة الناس للمقالة قد زاد بعد ان نشر في الجرائد ما نشر من انكار انتحالها على الشيخ بخيت وعزوها الى الاستاذ الامام . وقد قلت لاستاذ شهير من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي لليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أمس للشيخ بخيت؟ قال رأيتها وقرأت اسطرا من اولها ولم أتمها، ولم اضيع وقتي في قراءة ما يكتب الشيخ بخيت في التعصب والبحث في تعريفه بمثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حرف من المقالة بيان معنى التعصب لغة وعرفا فقدمه الشيخ عن موضعه فجعله في أول المقالة محرفا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة العروة الوثقى الشهيرة التي تعرفها — وذكرت له تصرف الشيخ فيها فقال اذا أعود فاقرأها —

ألا أن فعلة الشيخ بخيت هذه من الغرابة بمكان وان كان أكثر ما يكتب أمثاله ليس الا نقلا لما كتب من قبلهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من الثقات عنه انه قال إن المقالة له ،وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خطوه يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فينشرها والعروة الوثقى غير معزوة اليهما ! ! وهذا تخلص عرض له في المجلس لم يزل مخرجا سواه ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تفنيده وما يحتف بهذا التفنيد فوق ما منعه توقعه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم العجب العجاب ، وهو ان الشيخ بخيتا قال في ملأ من العلماء ان فتواه في الباشفية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تطبيق قواعد الباشفية وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باشا تسمع على زعيم الباشفية (لينين) الشهير ان يساعده على نشر الباشفية بسبب هذه الفتوى وفتوى أخرى للشيخ الاسلام في الاستانة مختصرة في معناها فاضطر (لينين) الى تغيير قواعدها وجعلها موافقة للشريعة

هل هذا وكان الشيخ بخيت هو والشيخ احمد ابو خطوه هما المحررين لتلك المقالات الاصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من العروة الوثقى فاهتز لها العالم الاسلامي وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانية العظمى إياها من دخول مصر والهند وغيرهما من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تذكر على من توجد بيده. سمعت شيخنا الشيخ حسينا الجسر يقول: ما كنا نشك في ان العروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى في العالم الاسلامي اذا طال أمرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سليمان الكيلاني نقيب الاشراف ببغداد في ذلك العهد كان يقول كلما قرأ عددا من العروة الوثقى لعله لا يجيء العدد التالي له الا والانقلاب المنتظر قد وقع ـ او ما هذا معناه ـ هذا الروح القوي المؤثر المتجلي في تلك البلاغة العالية كان العالم يزعم ان مصدره اتصال كهربائية السيد جمال الدين الافغاني بكهربائية الشيخ محمد عبده نابغتي الشرق والاسلام في هذا العصر، ذلك أول اتصال الذي تألق برقه فأضاء طريق النجاة للشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبديه — ولكن الشيخ بخيت يقول اليوم لافراد من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرخ الشباب بما كان له ذلك التأثير في العروة الوثقى. ولكن ما باله قد زهق مدة أربعين سنة فلم يظهر له أثر في خطابة مؤثرة، ولا في صحيفة من الصحف المنشرة؟ وما باله اليوم وقد طفق يعيد ما بدا، لم يحدث من التأثير الا التهكم والاذى؟ وما بال مقالة الشيخ الثانية، ليس فيها أدنى نسمة من ذلك الروح، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب؟

نشر الشيخ مقالة ثانية في التعصب انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الازراء والغيبة، ومن الامة المصرية أو الاسلامية بجملتها أن سكتت لهم ولم يناضلهم عنه أحد منها، افتتحها بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بجملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احياء الغزالي في صفات النفس وما في احدها من الفضائل، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط من الرذائل، وجعل ذلك مقدمة لنفي الاعتدال وجميع ما ينبعه من الفضائل عن المسلمين واثبات ضدها لهم بما كرره من قوله: لو أن المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا من

المعاصي والرذائل ولا سيما التباغض والتحاسد وكل ما يصح ان يوصف به من خاضوا فيه بما خاضوا مما لا يتسع المقال لنقله ولا لنقده ، الا ان نقول انه ليس فيه من موضوع التعصب الا اثبات أفراط المسلمين فيه كغيره من الاخلاق والصفات ، وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المصريين بالافراط والتعصب وزيادة لو فعلوا لجعلوا الشيخ حجة أو فتوى على عدم استعدادهم للاستقلال ، وهو ينقض أو يناقض الغرض السامي الذي تراءى لنا انه نشر مقالة العروة الوثقى لاجله كما تقدم !!!

هذا ما كان من أمر الشيخ بخيت في تصديه وتصدي العامة السياسية مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من شر علماء الازهر ويثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحسان عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الامة بأفكارهم واقلامهم وأعمالهم لان هذا ما نراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غرو اذا ساءنا جهل الشيخ مضمة في الافواه ، وان كان هو عقبة في سبيل الاصلاح الديني المدني الذي نسعى اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بخيت لا يصلح للسياسة

وأما قرينه في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الدين بالوراثة ومشيخة الطرق التي هي وظيفة رسمية لتقاليد معروفة ، وانما كانت تربيته وتعلمه مدنيين لا دينيين ازهريين وهو محافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجمع بين العيشة المدنية كالمتفرنجين مع هذه المحافظة على الدين باداء الفرائض واجتناب المعاصي والرذائل ، وهو كما نعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، ويتمنى لو يستطيع الى اصلاح حالهم سبيلا ، ثم انه يحب الاصلاح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو معتدل الفكر في ذلك على كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، وقلما تذاكرنا معه في مسألة الا وكنا على اتفاق او انتهينا الى اتفاق . فهو في مكانة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للزعامة الا أنه ينقصه من شروطها ما قلنا انه ينقص عدلي باشا فهو يشبهه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيتية وفي الاحجام عن كل ما من شأنه ان يثير خصاما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تعود الخطابة والكتابة والجدل

والحاجة ، وقد عجبنا من دخوله في هذه المعمعة على خلاف مايعرف من طباعه على انه تصدى أولا لامر متفق عليه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف بفعل احتفال العلماء به في دائرة الواسعة بل قصره الفخم ، ثم جاري الشيخ بخيتا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جارى الامير عزيز حسن ورضي ان يعقد في باحة قصره اجتماع عام يرأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرت البريطانية المستر تشرشل

ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطب في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تتضمن الرد على الوزارة والدعوة الى عدم الثقة بها — ترك الدار للمدعوين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل ظل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي أراه انه لايمكن أن يمضي في ذلك ويثبت الا أن يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين العارفين بحال المصر بشرط ان يسيروا بنظام مدون بحيث لايعملون عملا الا بقرار مدون ، وأنا ممن يرشحونه لهذه الرياسة ان هو أقدم ، وارجح انه لايفعل

تبجح البخيتيين وغرورهم بلقب أئمة الدين

اذا اراد رجال الدين الاشتغال بسياسة أمتهم ومصالحها العامة فأحوج ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ الملل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على تجلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى الفوائد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا أن شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لايقبل أن يخضع لشيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم والخضوع لهم في أقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان انتحلوا لانفسهم ألقاب الائمة أو جاد عليهم بها في وقت من الاوقات من ينتفع بهم في مظاهرته على خصمه

أقول هذا لاني أراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اوده وأتمناه وقد

على سكرتير الوفد المصري فيما عزاه الى حزب من خطأ لا أرى ما أوحاه من الفائدة في نقد هذا المقال يتوقف على بيان الخلاف بين هؤلاء الشيوخ وبين الوفد، وهذه الفائدة بيان خطأ الكاتب فيما كتب كما خطأ في الباعث على هذه الكتابة وهو ماعلم من التمهيد آنفا

نشر هذا المقال في جريدة الاخبار بامضاء (عبد ربه مفتاح من علماء الازهر) وقد وصف فيه الشيوخ الذين خطأهم ناموس الوفد (سكرتيره) ورماهم بما ينافي الوطنية (كما يفهم من كلام الكاتب) بقوله انهم «اشرف وأرقى طائفة في الامة بل في العالم الاسلامي وانهم قادة الامة وامناؤها على وحي الله تعالى الذي به السعادة الابدية او شقاؤها السرمدي» (كذا)

ثم قال بعد هذا الوصف: أيها القوم ان لكل مقام مقالا، وان مقام التكلم مع رجال الدين وفيهم مثل فضيلة الشيخ بخيت وسماحة السيد البكري شيخ مشايخ الصوفية وابن أبي بكر الصديق امين هذه الامة (؟) يجب الا يكون كما تكتبون. رجال الدين في كل زمان ومكان هم أمناء الله على دينه فمصيبة كبيرة وفتنة عظمى اذا رميناهم بالمروق من الوطنية من أجل انهم خالفوا في الرأي شخصا مبينا»

ثم قال «هبوا العلماء اخطأوا في هذا أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول «اتقوا زلة العالم» ويقول «لحوم العلماء مسمومة» فلما ذا استمرأتموها فأكلتم منها حتى التخمة؟ اه

أقول يالله العجب من هذا العجب والغرور والدعوى المريضة والجرأة على رواية الحديث والاستدلال بكل ماجرى على الالسنة منه وان كان ضعيفا

من أين علم الاستاذ الكاتب ان هؤلاء الشيوخ الذين وقعوا مع الشيخ بخيت على ما ارتآه في المسألة المصرية هم أشرف وأرقى طائفة في الامة بل العالم الاسلامي وهذا شيء لايمكن ان يعلمه الا الله تعالى ان أريد به ظاهر ماعليه الناس من العلوم النافعة والاعمال الصالحة، دون السرائر التي عليها المعول في الواقع، فهل طاف الاستاذ الكاتب العالم الاسلامي كله واختبر جميع علمائه وصلحائه واحاط علما بدرجات علومهم وكنه أعمالهم وشرفهم في بلادهم ووضع شيوخه الذين يرأسهم الشيخ بخيت في كفة ميزان وسائر أولئك العلماء والصلحاء

كفة [illegible] أولئك [illegible]

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى
نه ؟ أيجعل هذا كشيخة الطرق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم
كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسوبين الى الصديق والى بنت الرسول
صلى الله عليه وسلم وغيرهما من الصحابة البر والفاجر ، وان مشيخة الطريق هي
ما يعد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات
ما أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه ! ايه ! أيها الاستاذ أربع على ظلعك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك
ي هذه الالقاب والنعوت التي تكيلها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وحيه
رتبة عالية لاتنال بشهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشريف
ن الامراء والسلاطين ، أين آثار شيوخك في قيادة الامة التي تحلتهم اياها من
لدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والالحاد والشبهات
بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في الفرق بين علماء السوء وعلماء
لآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه العلوم الشرعية وآلاتها العربية
كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشعراني في الميزان
ي حديث « العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان » الخ

ايه ! ايه ! أيها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسندته
ليه ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بخيت وأمثاله الذين فضلتهم على جميع
لامة والعالم الاسلامي فأديت الامانة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من
فواه الذين يتجرءون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل مايسمعونه من
م أو يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحظره وتعزير
رتكبه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثية ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه العسكري في الامثال والديلمي
ن حديث عمرو بن عوف بزيادة « وانتظروا فيئته » وأورده السيوطي في
لجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم وانتظروا فيأته ، وأبو نعيم في السنن وابن
دي في الكامل وراويه الذي انفرد به هو كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف
ن زيد المزني عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن معين ليس

(١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتابه رسالة في بيان الضعيف من
احاديث الجامع الصغير

لشيء . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب . وقال معلى بن عبد الله المدني رأيته وكان كثير الحمومة لم يكن احد من أصحابنا يأخذ عنه. وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطال الخ . وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة. وقال ابن عدي :عامة ما يرويه لا يتابع عليه اهـ. وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما أخوف على أمتي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فانهوها على أنفسكم » اهمن تمييز الطيب من الخبيث وهو في معناه حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتج به كما هو ظاهر

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحداً رواها حديثا بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتينا الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثا وأما ان يكون هو الواضع لهذا الحديث وهو موضوع بلاشك. ونسأل الله تعالى ان يصلح هذه الامة ويلهمها رشدها ويقيها شر الغرور القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في الباخرة كليوباترة بالقرب من سواحل ايطالية

المعتصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا سماه المعتصم بالله . وكانت ولادته عند مطالع الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشمسي في ٢٥ من برج السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فنسأله تعالى أن يحييه حياة طويلة طيبة وينبته نباتا حسنا صالحا ويجعل له من اسمه أوفر نصيب فيكون قرة عين لوالديه وآله وأمته ، وان يستجيب دعاءنا عند مصابنا بأخيه الهمام قبل ولادته بأربعة أسابيع فيكون خلفا صالحا لذلك الفرط المقدم (الذي ظهر عليه في طفوليته من امارات الذكاء والنجابة والفصاحة ما يند ظهوره من مثله) فيكون خيرا منه في ذلك كما وعد الصابرين المحتسبين ، وان يجعلنا على ذلك من الشاكرين آمين